

ماذا نقول للصغار؟!

ماذا نقول للصغار عندما
تنفجر القنابل ؟
وتسقط المنازل ؟
حين تهب النار !!
ويزحف الدمار ؟

وتشيري عينان تسألان
عن سبب الدخان . . عن مسبب الدخان
والسر في سكوتنا
والسر في ارتعاشنا .
نجيب ما نجيب ؟!
وليس في وجوهنا الا أسى عصيب .

ويجمد الكلام في شفاهنا
الحرب . . !! هل نحكي لهم عن « بعبع » مخيف ،
عن مارد عنيف
يعبث بالناس وبالاوهواء
يعثر الاجساد والدماء .

أواه يا صفارنا
لو اننا نستطيع
أن نجمد الأشرار كالصقيع
نهذب البشر ،
ونخنق الكدر ،
أواه لو نقدر أن
نغير الأيام
نبعدكم عن العذاب والشقاء والخطر
وننشر السلام في
الافتدة الصفار
في أعين من ذعرها تطير ،
لو كان في قدرتنا أن نجعل الحروب
حكاية تعجبكم
أو لعبة تمتعكم ،
لو اننا نستطيع
نبعدكم الى دنى ، آمنة فيحاء
كثيرة الحنان والعطاء
لو ان في امكاننا
نزرع في دروبكم
الحب والسلام والصفاء .

مي علوش

المقاومة ، خاصة وقد كثر اللفظ من المدعين ، وذوي الياقات المنشأة حول ضعف هذا الشعر الفني ، غير اني ارى عكس ذلك تماما ، ارى ان تفجر هذا الشعر بكل هذه القضايا الكبيرة هو الذي يمنحه شكله الخاص الفريد . كما ان الظروف القاسية التي يكتب فيها تحت سطوة التهديد والمصادرة هي التي تمنحه أسلوبه الخاص ذلك . فهو شعر يكتب في الهروب والتشريد والتهديد والمقاومة ، ومن ثم فأنه يخمل سمات كل هذه الظروف . . يضطر الى أن يكون قصيرا وحادا كالشظايا . مراوفا كجندي حرب العصابات مقتحما مثله . وهو شعر مكتوب في السجن وفي زنازات التوقيف وحجرات الاقامة الجبرية المحددة . . انها قصائد تحفر على الحوائط ، ومن ثم فهي قصائد صارخة احيانا زاعقة احيانا ، واضحة كيوم مشمس في معظم الاحيان . فشاعر الارض المحتلة لا يعرف رفاهية البناء الرمزي ولا يتخبط في متاهات الفموض ، انه يعرف هدفه ويعرف قارئه ، ويعرف عدوه بوضوح ساطع شديد . يعرف لفته وطريقته وجمهوره . .

لغتي صوت خريف الماء في نهر الزوابع
ومرايا الشمس والحنطة في ساحات حروب
ربما اخطأت في التعبير احيانا
ولكن كنت - لا اخجل - راع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي (٧٠)

انه يعرف لفته ودوره وجمهوره . لذلك يترك الشعر ينبت تلقائيا من القلب ليصيب القلب مباشرة . لذلك فانه يضطر ازاء عنفا الظروف التي يعيشها الشاعر في الارض المحتلة ، الى التعبير عن بعض تجاربه دون أن تكمل أو تنضج ، ليس نقصا في الخبرة ولا عجزا عن الفهم العميق لطبيعة التجربة ، ولكن رغبة في تليسة الحاجة الملحة الى الافضاء الذي لا يستطيع ان ينتظر حتى تتنسم التجربة رياح الخصب والامتثال . . وهو لهذا لا يتورع عن أن يستخدم بعض الكلمات العامة عندما يجد انها اقدر من الالفاظ الفصحى البذولة امامه على التعبير . . يستخدمها دون أن يتعب نفسه في البحث عن معادلات فصيحة لها قد تكون غائبة عن متناول يده في تلك اللحظة . فليس لديه الوقت الكافي لتتقيق الاشياء . وهو لهذا أيضا يستعمل أكثر من بحر عروضي واحد في بنائه الموسيقي للقصيد الواحدة . . ولا يهمه كثيرا أن تتقارب نغمات البحور العروضية ولا أن تخدش صلابتها الاذن ، فالاذان التي تسمعه والتي يكتب مسنن أجلها قد اعتادت كل يوم سماع اصوات الانفجارات والطلقات الفادرة . ومن ثم لن تستنكف الانصات الى بعض النغمات المتباينة .

لكنه برغم كل هذا شعر نفاذ وشديد الشفافية ، يخترق القلب مباشرة بيناته البسيط الساحر الرائع ، وبابتعاده عن الاغراق في الرمز والظلمية ، وبأسلوبه التعبيري الفريد الذي لا يوقفه أبدا في برائن الشعر الحماسي برغم ارتفاع نبرته احيانا وتوهج تجربته دائما . انه برغم هذا الارتفاع في النبرة والتوهج في التجربة يترك المجال دائما امام فعالية القارئ للمشاركة في القصيدة من خلال اعتماده على الايماءات الحادة والموجية والفنية بالدلالات . وبسبب اهتمامه بالتركيز على الموروث الشعبي واقتساربه الدائم من مكونات الرؤية الشعبية ، ولجونه الى توصيل أكبر قدر من المعاني والابحاث . . وربما لكل هذا فانه يعتمد كثيرا في بناء تجربته على الشكل الجديد الذي يعتمد على وحدة التفعيلة بدلا من وحدة البيت ، لانه شعر عن الحرية وينشد في الشكل التحرر .

صبري حافظ

القاهرة

(٧٠) من قصيدة محمود درويش « يوميات جرح فلسطيني »

نشرت في « الاداب » يوليو ١٩٦٨ .